

إسهامات المستشرقين في الفكر العربي الإسلامي Orientalists' Contributions to Arab-Islamic Thought

نعيمة بوكريديمي

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف (الجزائر)، boukridiminaima@gmail.com

تاريخ النشر: 2024-05-05

تاريخ القبول: 2023-11-09

تاريخ الاستلام: 2022-03-15

ملخص:

تُجمع معظم الدراسات التاريخية. التي تعرّضت للحركة الاستشراقية على أنه مثلما كان لهذه الظاهرة آثار سلبية تمثّلت في تعمد بعض المستشرقين تشويه التاريخ الإسلامي والتشكيك في قيمة الفقه الإسلامي، والرغبة في تخريج جيل جديد متشبع بثقافة الاستشراق، كان لها آثار إيجابية استطاعت من خلالها أن تُسهّم في خدمة التراث الإسلامي ويظهر ذلك جلياً من خلال تلك الجهود التي بذلها بعض المستشرقين المنصفين الذين عُرفوا بخدمتهم للعلم والإنسانية بعيداً عن خدمة الكنيسة وعملوا على حفظه وتصنيفه ونشره.

كلمات مفتاحية: إسهامات المستشرقين في خدمة التراث، الاستشراق، المستشرقين، التراث الإسلامي.

Abstract :

Most historical studies are collected. I have been subjected to the forward-looking movement, as this phenomenon has had negative effects: the deliberate distortion of Islamic history, the questioning of the value of Islamic jurisprudence, and the desire to graduate a new generation imbued with the culture of shrine, have had positive effects through which they have been able to contribute to the service of Islamic heritage.

Keywords: Orientalists' contributions to the service of heritage, revelation, revelers, Islamic heritage.

مقدمة:

لقد أسهم المستشرقون بشكل واضح وكبير في التراث العربي الإسلامي، وذلك منذ أن استقام عود الاستشراق، وتحول من مجرد أداة هدم إلى ظاهرة لها كيائها ومدارسها وروادها ومنطلقاتها ومناهجها وأهدافها.

ولتوضيح وتبيان هذا الإسهام للبعض منهم ارتأينا أن نتطرق بالدراسة لهذا المقال الذي جاء موسوماً بـ إسهامات المستشرقين في الفكر العربي الإسلامي والذي حاولنا من خلاله الإجابة على التساؤلات الآتية:

ماذا نقصد بمصطلح الاستشراق والمستشرقين؟، ثم إلى أي فترة تعود جذور الحركة الاستشراقية، وما هي تطوراتها؟، وفي الأخير وهو المهم ما هي أبرز الجوانب التي استطاع المستشرقون أن يسهموا من خلالها في الفكر العربي الإسلامي؟

1. مفهوم الاستشراق:

قبل أن نشرع في الحديث عن المستشرقين، وتوضيح إسهاماتهم في الفكر الإسلامي، كان لابد لنا أن نقف عند تعريف مصطلح الاستشراق من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

1.1. مفهوم الاستشراق لغة:

الاستشراق لغة، فعله (شَرَقَ)، والشين والراء والقاف أصل واحد يدل على إضاءة (ابن فارس، دت، ص. 264)، ويقال شَرَقْتُ الشمس، تشرق، شروقاً، وشروقاً، والشروق طلوعها (ابن منظور، 1414، ص. 173).

والشرق خلاف الغرب، والشروق كالطلوع، وشرق، يشرق، شروقاً، ويقال لكل شيء طلع من قبل المشرق (الفراهيدي، دت، ص. 38).

والتشريق معناه الأخذ من ناحية المشرق، يقال شرقوا، ذهبوا إلى الشرق، أو أتوا من الشرق، وكل ما طلع من المشرق، فقد شرق (ابن منظور، 1414، ص. 174).

فالشرق يرمز إلى ذلك الحيز المكاني من الكون، وهو الشرق (الأشرف، 1438، ص. 12).

2.1. مفهوم الاستشراق اصطلاحاً:

يقصد بالاستشراق اصطلاحاً، ذلك الاتجاه الفكري الذي يعنى بدراسة الجوانب المتعلقة بالإسلام والمسلمين من عقيدة وسُنَّة وشريعة وتاريخ، وثقافة ولغة وآداب، والذي أسهم في صياغة تصورات بعيدة كل البعد عن عالم الشرق بصفة عامة والعالم الإسلامي بصفة خاصة (الجهني، 1420، ص. 678).

ومن بين المؤرخين الذين يتفقون مع هذا التعريف نذكر أحمد حسن الزيات الذي ذكر بخصوصه قائلاً: «يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته، ومعتقداته وأساطيره» (الزيات، دت، ص. 512)، وكذلك لخضر شلي بنوة محمد الذي قال بشأنه: «هو مجموع الدراسات التي يقوم بها أهل الغرب عن الشرق من حيث ديانته وأعرافه وثقافته» (شلي، 2001، ص. 26)، وعبد الله محمد الأمين الذي عرفه بقوله «هو معرفة الشرق، ودراسته» (التَّعيم، 1997، ص. 15).

كما يُقصد به ذلك اللفظ الذي أطلق على تلك الدراسات التي أشرف عليها أولئك المستشرقين الذين انشغلوا واهتموا بدراسة علوم الشرق وتاريخه وحضارته وأوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية (الثقفي، 2008، ص. 1059).

وعليه، ومن خلال هذه المجموعة من التعاريف التي تطرقنا لها يتضح لنا أن لفظ الاستشراق لا يخرج في الأصل عن كونه مؤسسة غربية بالغة القوة ومدرسة فكرية، اهتمت بدراسة معالم الفكر العربي الإسلامي في شتى جوانبه برؤية غربية. وقد كانت لهذه المدرسة خصائصها التي ميزتها ودوافعها وأهدافها الخطيرة التي انفردت بها والتي كانت تصب في محاولة السيطرة على العرب والمسلمين وتشويه ديانتهم الإسلامية.

2. دوافع الاستشراق:

لقد كان للحركة الاستشراقية دوافع شتى، وخاصة ما يتعلق منها بالدراسات الإسلامية، وتجدر الإشارة هنا إلى أن هناك عدد من الدارسين من يفرط في الثناء على المستشرقين عند الحديث عن دوافعه، ويذهب إلى أن الدافع العلمي النزيه كان وراء نشأة الاستشراق، وأن الرغبة في خدمة العلم

كانت الحافز الأعظم للدراسات الاستشراقية من جهة أخرى، هناك من الباحثين من يفرض في التحامل على المستشرقين، مجردا إياهم من كل قصد نبيل.

وإذا أردنا الوقوف عند جملة الدوافع التي شجعت الغرب على الحركة الاستشراقية نذكر:

1.2. الدافع الديني:

ويتمثل في إدراك الغرب أن الإسلام يمثل تهديداً حقيقياً للنصرانية، فأخذوا يؤلفون ويكتبون عن الإسلام بروح متعصبة وحاقدة، وذلك لتشويه صورة الإسلام لدى الأوروبيين حتى لا يعتنقوا الدين الإسلامي، في سبيل إنجاح مشروعهم التبشيري فقد تكتلوا في حركات تبشيرية، وبذلوا كل ما بوسعهم لجعل المسلمين يتركون الإسلام أو ترك تعاليم دينهم وتطبيقها، ولهذا فقد أقبلوا على تعلم اللغة العربية كوسيلة وأداة تساعدهم على قراءة العلوم الإسلامية، وقراءة مبادئ الإسلام ومصادره، وبالتالي العمل على وضع خطط لهدم الدين الإسلامي، ودفع المسلمين للتشكيك في دينهم وتراثهم الحضاري والإسلامي وكل ما يتصل به من علوم (السباعي، 2003، ص.30).

2.2. الدافع الاستعماري:

يعدّ هذا الدافع من أهم الدوافع في مسار تاريخ الاستشراق السياسي للسيطرة على هذا المكون الإسلامي ووجوده، وقد كان الهدف هو إلغاء كل قوة يظن الغرب أنها من الممكن أن تؤخر سيره إلى مطامعه الصليبية أو الاقتصادية، وفي الحقيقة فهذا المنطق يشعرك بعظم التغير الغربي والعقلية العسكرية المتحولة من التحريف الكنيسي، ومن كونه ديانة سماوية إلى عقلية عسكرية لا تعترف للدعوة إلا لهذا. (الجفن، 2016، ص.20).

وعليه، فإن الاستعمار يعترف بخشيته التي استطاعت أن تقف أمام المخططات الاستعمارية الغربية، ومن هنا كان لابد للغرب المستعمر العمل بجد على معرفة كل ما يتعلق بأحوال هذا الشرق ومداخل السيطرة عليه، ولذلك كله تلقف الاستعمار هذه الحركة وكان ملوك الدول الاستعمارية رعاتها، وكان قناصلهم في بلدان المشرق عمالها (مراد، 2004، ص.25)، حيث خدموا الغرب بدراسات شاملة عن المجتمع الإسلامي وتوضيح نقاط ضعفه، التي ساعدت الغرب على احتلال العديد من بلدانه من أمثال المستشرق الفرنسي هانونو الذي كان يعمل مستشاراً لوزارة الاستعمار الفرنسية،

وكذلك إدوارد هندي البريطاني الذي تعلم العربية وقام برحلة إلى الشرق، جمع من خلالها معلومات قيمة عن الطرق والمسالك الصحراوية والتي ساهم من خلالها في احتلال مصر سنة 1882 وغيرهم كثيرون.

أما فيما يخص أهمية الحركة الاستشراقية بالنسبة للعالم المسيحي أو الغربي فيشير المستشرق الهولندي سنوك هرجرونيه¹ بخصوص ذلك قائلاً: «إن الشريعة الإسلامية موضوع مهم للدراسات الاستشراقية، ليس فقط لأسباب تجريدية (نظرية) متعلقة بتاريخ القانون الحضاري والدين، ولكن لأهداف عملية: ذلك أنه كلما توثقت العلاقات بين أوروبا والشرق الإسلامي، زاد عدد البلدان الإسلامية التي تقع تحت السيادة الأوروبية، كلما زادت الأهمية بالنسبة لنا نحن الأوروبيين لتتعرف على الحياة الفكرية وعلى الشريعة وعلى خلفية المفاهيم الإسلامية» (غراب، 1990، ص.42).

وهكذا يتضح لنا جلياً استفادة الدول الاستعمارية من هؤلاء الرحالة والمبشرين والضباط ورجال الإدارة الاستعمارية وجمهور المؤرخين والعلماء، ورجال المخابرات والاقتصاديين والسياسيون وخبراء الأسواق التجارية في تكريس سيطرتها وهيمنتها وقبضتها على الشعوب الضعيفة.

3.2. الدافع الاقتصادي (التجاري):

ويتمثل في رغبة الدول الغربية (المسيحية) الاستيلاء على خيرات الشرق، ونهب ثرواته السطحية والجوفية من جهة، وحرصهم ورغبتهم القوية في التعامل مع المسلمين لترويج بضائعهم، وفي المقابل شراء موارد العالم الإسلامي الطبيعية كمادة خام وبأثمان زهيدة، ومن ثم القضاء على صناعاته المحلية وتفقيره، وجعله تابعاً للعالم الغربي المسيحي.

وخير ما نستشهد به في هذا المقام تلك المعارك التاريخية التي عملوا من خلالها على تقسيمهم بلاد المسلمين فيما بينهم واستغلال أراضيها والاستفادة منها سواء في الميدان الزراعي أو الصناعي أو غيرهم من الميادين الأخرى، حتى ضيقوا على المسلمين معاشهم وأرزاقهم بطريقة أو بأخرى، وفي هذا الصدد يشير مصطفى السباعي² قائلاً: (الزركلي، 2006، ص.221) «ومن الدوافع التي كان لها أثرها في

¹ سنوك هرجرونيه (1857-1936): ولد في استرهوت وتعلم في ليدن على ديخونه رحل إلى جاوة ثم إلى مكة وتسمى بعبد الغفار، واستقر في سوق الليل خمسة أشهر، كان يجيد العربية إجادة تامة، له عدة مؤلفات منها كتاب الحج إلى مكة، وكتاب الفقه الإسلامي.

² مصطفى السباعي: هو مصطفى بن حسني السباعي أبو حسان، عالم إسلامي مجاهد، نشأ في أحضان أسرة دينية، شغل منصب عميد كلية الشريعة في دمشق، توفي عام 1384هـ/1967م.

تنشيط الاستشراق رغبة الغربيين في التعامل معنا لترويج بضائعهم، وشراء مواردنا الطبيعية الخام بأبخس الأثمان، ولقتل صناعتنا المحلية التي كانت لها مصانع قائمة مزدهرة في مختلف بلاد العرب والمسلمين» (السباعي، 2003، ص. 23).

فمصانعهم ما تزال تنتج أكثر من حاجة أسواقهم المحلية، كما أنهم مازالوا بحاجة إلى المواد الخام المتوفرة في العالم الإسلامي، ولذلك فإن بعض أشهر البنوك الغربية لويد وبنك سويسرا يُصدر تقارير شهرية في ظاهرها تقارير اقتصادية، ولكنها في حقيقتها دراسات استشراقية متكاملة، حيث يقدم التقرير دراسة عن الأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية والثقافية للبلاد العربية الإسلامية ليتعرف أرباب الاقتصاد والسياسة على الكيفية التي يتعاملون بها مع العالم الإسلامي (هتار، 2018، ص. 45)، (الجن، 2016، ص. 23).

ومنه ندرك جيداً أن العامل الاقتصادي كان أحد أقوى العوامل التي عملت على تنشيط الحركة الاستشراقية في اتجاه العالم الإسلامي.

4.2. الدافع العلمي:

فيما يخص هذا العامل يمكننا القول أن هناك نفر قليل جداً أقبلوا على الاستشراق يدفعهم حب الاطلاع على حضارات الأمم وأديانها وثقافتها ولغاتها، وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأ في فهم الإسلام وتراثه لأنهم لم يكونوا يتعمدون الدس والتحريف، فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العلمي السليم، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وأمن برسالته (السباعي، 2003، ص. 25) وقد نقلوا وترجموا الكتب العربية إلى لغاتهم الخاصة حتى انتشر الإسلام في بعض المناطق، وكان بعضهم دعاة ومصلحون معاصرون ومتقدمون، وفي هذا الشأن يقول أحدهم: «إنه إذا كانت أوروبا تريد النهوض الحضاري والعلمي فعلها بالتوجه إلى بواطن العلم تدرس لغاته وآدابه وحضارته» (سودرن، 2006، ص. 36)، ويعنى بذلك العالم الإسلامي.

أما بعضهم الآخر وهم الغالبية، فقد كانوا يهدفون من وراء تقريرهم من الدول العربية والإسلامية إلى تشويه الإسلام، وإبداء صورة سيئة عنه من خلال نشر بعض القضايا الخلافية بين المسلمين، وينشر مسائل تثير الكثير من الشبهات ضد المسلمين، وذلك من خلال استحداث مذاهب فكرية

مناهضة للوعي الإسلامي الحضاري ودينية ينسبونها للإسلام، وإسلام منها بريء كالمهائية والبابوية وغيرها (الجفن، 2016، ص. 25).

5.2. الدافع السياسي:

يتزامن هذا الدافع مع مرحلة نهاية الاستعمار واستقلال العديد من البلدان العربية والإسلامية في عصرنا الحاضر، حيث راحت الدول الغربية تعمل على وضع سفارات لها لدى هذه (الدول العربية والإسلامية) سكرتير أو ملحق ثقافي يحسن اللغة العربية ليتمكن من الاتصال برجال الفكر والصحافة والسياسة، حتى يتسنى له التعرف على أفكارهم، وكثيراً ما كان لهذا الاتصال أثره الخطير في الماضي حين كان السفراء الغربيون في بعض الدول العربية والإسلامية يسعون إلى بث الدسائس للتفرقة فيما بين الدول العربية تحت غطاء إسداء النصح والمعونة بعدما درسوا تماماً نفسية الكثير من المسؤولين في تلك البلاد وعرفوا نقاط ضعفهم (الجفن، 2016، ص. 25).

وبناءً على ما سبق ذكره، نستنتج أن الاستشراق هو ذلك الفكر الذي اعتنى بدراسة علوم الشرق الإسلامي بشتى أنواعها المختلفة، وكان مدفوعاً بدوافع عدة منها الدينية والاستعمارية والسياسية والاقتصادية، والعلمية لتحقيق غاياته وأهدافه المختلفة في البلاد العربية والإسلامية.

3. أهداف الاستشراق:

1.3. الهدف الديني:

يعتبر الهدف الديني أول أهداف الاستشراق على الإطلاق، فعندما رأى النصارى وبخاصة رجال الدين أن الإسلام اكتسح المناطق التي كانت للنصرانية، وأقبل كثير من النصارى على الدين الإسلامي ليس لسماحته فحسب، ولكن لأنه بعيد عن التعقيدات وطلاسم العقيدة النصرانية، ولأنه نظام كامل للحياة، خافوا على مكانتهم الاجتماعية والسياسية في العالم النصراني، حيث لا توجد في الإسلام طبقة كما في النصرانية، ولذلك وقفوا له بالمرصاد وحاولوا محاربته وتشويهه تعاليمه (مدلول الحسن، 2017، ص. 45).

فالهدف الديني الذي كانت تهدف من وراءه الحركة الاستشراقية هو محاربة الإسلام وتشويهه، وإبعاد النصارى عنه، وقد اتخذ النصارى المعرفة بالإسلام وسيلة لحملات التبشير والتنصير التي

اجتاحت البلاد الإسلامية، وكان هدفها تنفير النصارى من الإسلام، ولذلك كانت كتابات المستشرقين الأوائل تتميز بنوع من الحقد والتعصب.

2.3. الهدف الاستعماري (السياسي):

لقد كان المستشرقون يرمون من وراء هذا الهدف إلى العمل على إثارة الخلافات والثغرات بين شعوب العالم الإسلامي، وذلك من خلال زرع سياسة فرق تسد في أوساط القوميات حتى يسهل على الاستعمار تشديد وطأته على البلاد الإسلامية، وبالتالي إخضاعهم للدول المستعمرة التي كانت تهدف من وراء ذلك إلى زعزعة ثقة المسلمين بتراثهم، ونشر ثقافة الاستعمار فيكونوا عبيدا لها، وإضعاف روح المقاومة في نفوسهم (مدلول الحسن، 2017، ص. 15).

3.3. الهدف العلمي:

يتمثل في الرغبة في مجاملة المسلمين والتقرب إليهم، كما فعلوا مع توماس أرنولد حين أنصف المسلمين في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" فقد برهن هذا الأخير على التسامح لدى المسلمين في جميع العصور مع مخالفيهم في الدين، غير أن هذا المرجع طعن فيه المستشرقون المتعصبون بحجة أنه مؤلفه هذا كان مندفعاً بعاطفة قوية اتجاه المسلمين وبعبدة عن كل ما هو منهج موضوعي (مدلول الحسن، 2017، ص. 16).

غير أن هناك فئة قليلة منهم كانت أهدافها خالصة في الجانب العلمي، حيث اهتمت بدراسة تراث العالم الإسلامي وتمحيصه، ومن أولئك ناصر الدين رينيه الذي ألف مع عالم جزائري-كتاب في سيرة الرسول ﷺ، وقد توفي هذا المستشرق المسلم في فرنسا، ونُقل جثمانه إلى الجزائر العاصمة حيث دفن بها (مدلول الحسن، 2017، ص. 17).

وبناء عليه يمكن القول بأن تعدد أهداف الحركة الاستشراقية ارتبط بتعدد عواملها وأسبابها.

4. تعريف المستشرقين:

مثلاً تعددت معاني مصطلح الاستشراق، تعددت كذلك معاني مصطلح المستشرقين.

وفي هذا الصدد فقد عرفه الأستاذ مالك بن نبي في قوله: «إننا نعني بالمستشرقين الكُتَّاب الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية» (بن نبي، 1969، ص. 5).

أما بالنسبة للأستاذ عبد الوهاب حمودة فقد عرفه قائلاً: «هو من صار شرقياً وقد أطلقت هذه اللفظة على كل عالم غربي يهوى إتقان لغة شرقية وتجرد إلى دراسة بعض اللغات الشرقية كالفارسية والتركية والهندية والعربية، وتقصى آدابها طلباً لمعرفة شأن أمة أو أمم شرقية من حيث أخلاقها وعاداتها وتاريخها وديانها أو علومها» (حمودة، 1958، ص. 69).

وقد خصّه من جهته المؤرخ إدوارد السعيد بتعريفه قائلاً: «هو كل من يدرس أو يكتب عن الشرق أو يبحث فيه» (السعيد، 1995، ص. 44)، ومنهم من عرف المستشرق بذلك الشخص الذي يتعاطى دراسة اللغات والحضارات الشرقية، كما ذهب البعض الآخر في تعريفهم لمصطلح المستشرق بالقول هو كل باحث في فرع من فروع المعرفة التي تتعلق بعالم الشرق سواء كان ذلك من قريب أو من بعيد (ماجد، 2007، ص. 32).

وعليه، ومن خلال هذه المجموعة من التعاريف حول المستشرقين يتضح لنا جلياً أن المستشرق هو مصطلح واسع يشمل طوائف متعددة من الباحثين والعلماء الذين يعملون في ميادين الدراسات الشرقية المختلفة، وهم الغربيون الذين تخصصوا في دراسة تراث الشرق من كافة جوانبه.

5. جذور الحركة الاستشراقية:

لا يوجد هناك تاريخ مضبوط عن أول الغربيين الذين اعتنوا بالدراسات الشرقية، غير أن المتمعن في تاريخ الاستشراق، يجد أن جذور الحركة الاستشراقية تعود إلى فترة صدر الإسلام (الجهادلي، 2020، ص. 17)، وذلك من خلال ما بذله اليهود والنصارى من جهود لمحاربة الإسلام (الجهادلي، 2020، ص. 17)، ومن خلال الطعن في أحكامه، واتهام خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد ﷺ بالمجون والجنون والشعر والسحر، وغيرها من الأكاذيب والتهم الباطلة (الجهادلي، 2020، ص. 22).

وفي سبيل تحقيق مآربهم، فكثيراً ما كان يحتك المشركون بالمسلمين ويتبعون سبل الدخول في الإسلام لفترة وجيزة، ثم يرتدوا عنه ليبيّنوا للناس أنهم حاربوا هذا الدين بحجة أنه غير نافع وغير صحيح لإخراجهم من ظلماتهم وظلالهم (الجهادلي، 2020، ص. 23).

غير أن هناك من المؤرخين من يربط نشوء الحركة الاستشراقية وتأسيسها بانتقال بعض الرهبان الغربيين إلى بلاد الأندلس، وعكوفهم هناك على دراسة القرآن الكريم والكتب العربية وترجمتها إلى لغاتهم، وذلك من خلال الاستعانة بالعلماء المسلمين في ميدان الطب والفلك والفلسفة والرياضيات وغيرها من علوم المسلمين آنذاك، ومن أوائل الرهبان الفرنسيين الذين احتكوا بالعدوة الأندلسية في هذه الفترة نذكر الراهب الفرنسي جبريت دي أوليان (Gerber de oriliah) (938-100هـ) وكذلك الراهب بطرس المحترم (Pierre le Senere) (1092-1156)، وجيرادي كريمو (Gerard de Crement) (1114-1187م) (كامل، 1960، ص.ص. 344-379).

وبعد عودة هؤلاء الرهبان إلى بلدانهم نشروا هذه الكنوز من العلوم والمعارف التي ارتووا منها ببلاد الأندلس واستفادوا منها قرابة ستة قرون تقريباً، وقد تجلت اهتماماتهم منذ ذلك الوقت وإلى غاية الحقبة الاستعمارية في القرن الثامن عشر الميلادي بدراسة اللغة العربية وترجمة القرآن الكريم وأمهات الكتب والمراجع العربية (كامل، 1960، ص. 379)، وفي هذا الصدد يقول مصطفى السباعي: "وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا ثقافة العرب، وأشهر مؤلفاتها، ولم ينقطع من ذلك الوقت وجود أفراد درسوا الإسلام واللغة العربية فترجموا القرآن وبعض الكتب العربية والعلمية والأدبية" (فوك، 1996، ص. 163)، (السباعي، 1999، ص. 4).

أما بالنسبة للدكتور عمر فروخ فيرى أن "الاستشراق بدأ من القرن السادس عشر الميلادي، لأن في هذه الفترة تم الاهتمام باللغات الشرقية والتركية خاصة، وجمع المخطوطات العربية، ونشرها في موضوعات شرقية لغوية وأدبية، خاصة بعد أن ظهرت في هذا القرن الطباعة الغربية ونشطت ظاهرة الرحلات إلى بلاد الشرق التي حفزت حركة الاستشراق" (فروخ، دت، ص. 45).

إلى جانب ذلك فقد ساعد عامل خمود الثورات الدينية وقيام الثورة الصناعية بالعالم الغربي بصفة عامة، واحتكاك المفكرين الجامعيين بالمسلمين واطلاعهم على آداب العرب وغيرهم من أمم الشرق في تفتقه، فكان من نتائج ذلك دخول علم المشرقيات منذ أواخر القرن الثامن عشر، وهي الفترة التي بدأ فيها الغرب هجوماته على العالم الإسلامي والاستيلاء على ممتلكاته، وقد صاحب هذا الاستعمار السياسي والاقتصادي للعالم الإسلامي أعداداً هائلة من العلماء الغربيين الذين اهتموا بالتراث الفكري للعالم الإسلامي وترجمته، كما عملوا على شراء وكذلك سرقة الكثير من المخطوطات

النفيسة ونقلوها إلى بلدانهم، وقد قُدِّر عدد ما حملوه من مخطوطات وكتب قيمة في أوائل القرن التاسع عشر بـ250 مجلداً، وما زال العدد في تزايد مستمر إلى يومنا هذا.

وهناك من المؤرخين والباحثين من يرجع جذور الحركة الاستشراقية إلى انهزام الغرب المسيحي في الحروب الصليبية أمام قوات المسلمين، وفي هذا الصدد يذكر علي محمد جريشة قائلاً: «ولكن الذي نشط الاستشراق أكثر وحرَّكه في الاتجاه السلبي، و ذلك من خلال انحرافه من الأغراض العلمية النزهة منذ البداية، هو إخفاق الحروب الصليبية الذي كان دافعاً للمزيد من الاهتمام بالثقافة الإسلامية بدليل الوثيقة الأخيرة التي عثر عليها أخيراً وتضمن وصية القديس ملك فرنسا، وقائد الحملة الصليبية الثامنة، الذي أيقن لدى عودته إلى فرنسا أنه لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق الحرية، ولذا يتعين تحويل المعركة من ميدان السلاح إلى المعركة في ميدان العقيدة والفكر» (جريشة، 1979، ص.19).

ومهما كان السبب الذي شجع على نشأة الحركة الاستشراقية، إلا أن الباحثين يجمعون على أن للاستشراق فضل كبير في الكشف على ما يمتلكه الشرق بصفة عامة والأمة العربية والإسلامية من تراث نفيس حير عقول الغربيين وأسأل لعباهم بصفة خاصة، ومن ثم بدأوا يفكرون في كيفية نهبه وسلبه وتحريفه من خلال نسبه لأشخاص ليس لهم أية علاقة بهم.

6. تطورات الحركة الاستشراقية إلى غاية الحقبة الاستعمارية:

لقد عرفت الحركة الاستشراقية تطورات في أفكارها وأساليبها مع مرور الزمن، ويمكن تلخيص تطوراتها في مرحلتين اثنتين:

1.6. المرحلة الأولى:

وتبدأ هذه المرحلة من القرن الثامن الهجري / 14م، وتستمر حتى النهضة الحديثة، وتعرف هذه المرحلة بمرحلة التكوين، وفيها احتك المسلمون بالغرب المسيحي سياسياً وعسكرياً، وأسسوا مراكز حضارية في جنوب أوروبا وجنوبها الغربي، امتزج فيها التراث العربي بالتراث الفارسي وتراث الهند واليونان، وغيرهم من الأمم التي دانت لسلطانه بما فيها أوروبا (بن حمدو/قيطون، 2012، ص.24)،

حيث ربطت هذه الأخيرة فكرة الاستشراق واحتكاكها بالمسلمين بفكرة التبشير العلمي بغرض نسج الأكاذيب والمغالطات للسيطرة على الأمة الإسلامية واستعمارها (الجندي، 1998، ص. 13).

2.6. المرحلة الثانية:

وتبدأ هذه المرحلة منذ أوائل النهضة الأوروبية الحديثة إلى عصرنا هذا، وتعرف بمرحلة التقدم، وفيها عرف النشاط الاستشراقي عصره الذهبي (بن صالح، 2012، ص. 6)، وقد تجلى ذلك وبوضوح في تأثير الفكر الإسلامي في الفكر الغربي، لاسيما في مجال الأدب، حيث استطاع المستشرقون، ومن خلال احتكاكهم بالمسلمين من ترجمة العديد من روائع الأدب العربي الإسلامي، ومن ذلك الأدب القصصي وفي مقدمتهم قصة ألف ليلة وليلة التي ترجمتها الأديبة الفرنسية أنطوان جالات في نهاية القرن السابع عشر الميلادي، واعتبرت آنذاك أول ترجمة للأدب الشرقي وذلك في الفترة الزمنية الممتدة ما بين (1704-1712) (النملة، 2003، ص.ص. 60-61)، (الكولاي، 2019، ص. 12).

وقد كانت هذه الترجمة لقصة ألف ليلة وليلة بمثابة الانطلاقة الحقيقية للغرب الذي سعى إلى الاحتكاك بالمؤلفات العربية وترجمتها إلى اللاتينية والاستفادة من معلوماتها ومعارفها، وقد أصبحت الجامعات الغربية نتيجة ذلك تعتمد في برامجها الدراسية على المؤلفات والكتب العربية كمراجع أصلية لمدة تقارب الستة قرون (الكولاي، 2019، ص. 13).

7. إسهام المستشرقين في الفكر العربي الإسلامي:

لم يؤثر جميع المستشرقين في الفكر العربي الإسلامي تأثيراً سلبياً، بل هناك طائفة منهم كانت منصفة إلى حد ما لأنها كانت تؤمن بأن صناعة الفكر الحضاري هي مهمة إنسانية جميعاً (النملة، 2003، ص. 38)، ولذلك نجدهم قد أسهموا بحكم ما تميزوا به من موضوعية علمية، ودقة المعلومة في دفع عجلة البحوث العلمية وإثرائها وتشجيعها، وتنمية المناهج العلمية ومن ثم تقوية الصلة بين العلماء المسلمين والمستشرقين (الكولاي، 2019، ص. 18).

ويمكننا أن نقف عند جملة إسهامات ومجهودات المستشرقين في الفكر العربي الإسلامي من خلال ما يلي:

1.7. البحث عن المخطوطات، والرحلة إليها وجمعها ونقلها وحفظها وصيانتها:

فالمستشرقون اهتموا ومنذ فترة طويلة بجمع المخطوطات العربية من كل بقعة في بلاد الشرق الإسلامي وذلك بحكم ما تمثله هذه الأخيرة من قيمة علمية وتراث غني ونفيس (الكولاي، 2019، ص.13).

ونظراً لما كانت تمثله المخطوطات من أهمية في نظر الأنظمة الأوروبية، فقد كانت هذه النظم تفرض على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق أن تحضر معها ما يسعها من مخطوطات.

وقد ازداد اهتمام أوروبا بجمع المخطوطات ونقلها وحفظها وصيانتها من التلف، منذ حملة نابليون على مصر 1798م، حيث استطاعت من خلالها أن تجلب كما هائلا من المخطوطات من الشرق، كما قاموا إلى جانب ذلك بفهرستها فهرسة علمية (الكولاي، 2019، ص.14).

2.7. تحقيق المخطوطات ونشرها:

إلى جانب البحث عن المخطوطات وجمعها، فقد عمل المستشرقون بتحقيق هذه الكنوز من المخطوطات النفيسة، ثم قاموا بعدها بنشر عدد ضخم من هذه المؤلفات التراثية العربية الإسلامية التي قاموا بتحقيقها، ومن ذلك نذكر سيرة ابن هشام، كتاب الإتقان للسيوطي، الفهرست لابن النديم، المغازي للواقدي، الملل والنحل للشهرستاني، الأغاني للأصفهاني، تاريخ اليعقوبي، كتاب وفيات الأعيان لابن خلكان... وغيرهم كثيرون (النملة، 2003، ص.ص.59-60).

3.7. الاهتمام بالمؤلفات المعجمية والموسوعية:

ومن ضمن اهتمامات المستشرقين أيضا المؤلفات المعجمية والموسوعية التي تحتوي على ضبط في الفهارس والتقسيم والتبويب، ومن جملة هذه المؤلفات التي ألفها المستشرقون نذكر المعجم العربي اللاتيني لجورج فيلهم فرايتاج، والذي لا يزال يُستعمل ويُعتمد عليه إلى يومنا هذا، بالإضافة إلى العديد من القواميس الصغيرة والكبيرة التي جمعت بين العربية والإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها من اللغات الأجنبية الأخرى، والتي ألفها المستشرقين لتسهيل عملية البحث على جمهور المهتمين والباحثين في المجال والتي كلفتهم مجهودات كبيرة (النملة، 2003، ص.ص.60-61).

خاتمة:

في الأخير يمكن القول: إن اهتمام المستشرقين بالتراث الفكري لبلاد الشرق بصفة عامة، والبلاد العربية والمسلمين بصفة خاصة، قد سبق اهتمام المسلمين المعاصرين لهم، وذلك لعدة عوامل، من أهمها وجود هذا التراث بين أيدي المستشرقين، وبالتالي بعده عن المسلمين من جهة، كما يمكننا أن نشير إلى حقيقة مهمة أخرى، وهي أن الحركة الاستشراقية لم تكن لها آثار سلبية فقط، وإنما صاحبها آثار إيجابية تبنتها الطائفة المنصفة والنزيهة من المستشرقين والتي كانت تتحلى بالمنهج الموضوعي والدقة في المعلومات، لأنها وبكل بساطة كانت تحمل مشروعاً حضارياً وإنسانياً وليس مشروعاً دينياً كنسياً، كما كان يحمله البعض الآخر من المستشرقين.

قائمة المصادر والمراجع:

المؤلفات/الكتب:

1. الأشرف، صالح محمد حسن، (1437-1438)، الاستشراق، مفهومه وآثاره، الرياض، كلية الشريعة، جامعة محمد بن سعود الإسلامية.
2. الثقفى، عبير أحمد فاضل، (2008)، لمحة عن الحركة الاستشراقية ووسائلها وأهدافها، المملكة السعودية، كلية الشريعة، جامعة أم القرى.
3. جريشة، علي محمد، (1979)، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، القاهرة: دار الاعتصام.
4. الجفن عبد الرحمن بن عبد العزيز، (2016)، الاستشراق-النشأة والدوافع- بيروت: دار الكتب العلمية.
5. الجندي، أنور، (1998)، إطار إسلامي للفكر المعاصر، ط2، دار الكتب الحديث الإسلامي.
6. الزركلي، (2006)، الأعلام، ط7، دار العلم للملايين.
7. الزيات، أحمد حسن، (دت)، تاريخ الأدب العربي، مصر: دار النهضة للطباعة والنشر.
8. السباعي مصطفى، (2003)، الاستشراق والمستشرقين مالهم وما عليهم، دار الوراق للنشر.
9. السباعي مصطفى، (1999)، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما عليهم، القاهرة: دار السلام.
10. السعيد، إدوارد، (1995)، الاستشراق - المفاهيم الغربية للتراث - دار بنجوين العالمية.
11. سوذرن ريتشارد، (2006)، صورة الإسلام في أوروبا في العصور الوسطى، تقديم رضوان السيد، بيروت: دار المدار.
12. شلي، محمد لخضر بنوة، (2001)، في الفكر الاستشراقي المعاصر، الجزائر.
13. غراب أحمد، (1990)، رؤية إسلامية للاستشراق، ط2، لندن: المنتدى الإسلامي.
14. ابن فارس، أحمد (دت)، معجم مقاييس اللغة.
15. الفراهيدي أبو عبد الرحمن، (دت)، العين، تحقيق: مهدي المخزومي وآخرون، (دط)، دار مكتبة الهلال.
16. فوك يوهان، (1996/1417)، تاريخ حركة الاستشراق، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين، تعريب عمر لطفي، دمشق: دار قتيبة، العالم.
17. الجبني مانع بن حمادة، (1420)، الموسوعة المسيرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ضمن أعمال الندوة العلمية للشباب الإسلامي، ط4، دار العالمية للنشر.
18. مراد يحي، (2004)، مقدمة معجم أسماء المستشرقين، لبنان: دار الكتب العلمية.

19. ابن منظور، (1414هـ)، لسان العرب المحيط، ط3، بيروت: دار صادر.
20. بن نبي مالك، (1969/1388)، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، ط1، بيروت: دار الإرشاد.
21. النعيم عبد الله محمد الأمين، (1997)، الاستشراق في السيرة النبوية، دراسة تاريخية، ط1، المعهد العالي للفكر الإسلامي.
22. النملة علي بن إبراهيم الحمد، (2003)، المستشرقون ونشر التراث، دراسة تحليلية، ط1، الرياض: مكتبة الملك فهد.
23. هتار فهد عبد القادر، (2018)، دوافع الاستشراق والمستشرقين، اليمن: دار القلم.

الرسائل الجامعية / الأطروحات:

24. محمد عادل ماجد، (2007)، الفهم الاستشراقي للتفسير القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة الكوفة.
25. بن حمدو سعاد، وقيطون نعيمة، (2012-2011)، الاستشراق وأثره في الحضارة العربية الإسلامية، مذكرة ماستر، جامعة تلمسان (الجزائر).

الأبحاث في المجلات العلمية / المقالات:

26. الهادي رحيم محمد، (2020)، الاستشراق نشأته - دوافعه، مجلة أبحاث، العراق، المجلد الأول، العدد 03.
27. حمودة عبد الوهاب، (1958)، من زلات المستشرقين، مجلة الإسلام، القاهرة، العدد الرابع.
28. صالح، نوال، (2012)، محاضرات حول الاستشراق، المفهوم والتطور، مستوى الثانية ماستر، قسم اللغة العربية، جامعة محمد خيضر، بسكرة.
29. عبادة محمد كامل، (1960)، صفحات من تاريخ الاستشراق، مجلة العالم العربي.
30. فروخ عمر، الاستشراق والمستشرقون مالهم وما علمهم، سلسلة كتب الثقافة المقارنة، بغداد، العدد 1.
31. الكولاي ياسين، (2019)، أثر الاستشراق على الفكر الإسلامي من السلب إلى الإيجاب، مجلة مملكتنا، المغرب الأقصى.
32. مدلول الحسن محمد طالب، (2017)، دوافع الاستشراق، مقال ورد ضمن مجلة جامعة بابل، العراق.